جامعة المنصورة
كليـة الآداب

ضمير الشأن في العربية، دراسة نحوية بلاغية:

سورة الحج نموذجا

إعـــداد

دكتورة / نهلة الشقران
قسم اللغة العربية
الجامعة الهاشمية- الأردن

دكتور / محمود عيسى عزام
قسم اللغة العربية
الجامعة الهاشمية- الأردن

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الواحد و الستون – أغسطس ٢٠١٧

ضمير الشأن في العربية، دراسة نحوية بلاغية: سورة الحج نموذجا

د/ نهلة الشقران والدكتور محمود عيسى عزام

ملخص البحث:

عبر النحويون العرب عن المفاهيم النحوية بمرادفات عديدة، قلّت –حيناً– وكثرت –أحياناً– ما أدى إلى إحداث فوضى مصطلحية؛ فالاصطلاح هو الاتفاق، والاتفاق لا يتلاءم ووجود هذه المرادفات؛ من هنا يهدف هذا البحث إلى مناقشة مفهوم ضمير الشأن في كتب النحو والبلاغة، واختيار ما يناسب المفهوم من المصطلحات.

استدعى البحث تعريفَ مفهوم ضمير الشأن، وبيانَ خصائصه، ومواطنَ وجوده –كما وردت في كتب النحو– ثم عرضَ مسألة الاختلاف في تسميته، وربْطَ الأمر بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني التي تجعل المعنى أساسا لفهم أي تركيب نحوي.

اتخذ البحث سورة الحج نموذجا لرصد تشكّلات البنيّة والدلالة لضمير الشأن، في خمسة مواضع، ثم حلّل دور ضمير الشأن فيها، وخلص البحث إلى تشكيل نظام لغوي خاص لوجود ضمير الشأن، ليكوّن مواقف تواصلية معيّنة.

الكلمات المفتاحية: *ضمير الشأن، سورة الحج، البنية الشكلية، نظرية النظم، عبد القاهر الجرجاني، المعنى.*

Abstract

Arab grammarians have expressed grammatical concepts by using too many or too little synonyms. This led to the creation of terminological chaos; because terms need agreement, and agreement does not fit these synonyms; hence, this research aims to discuss the concept of the Pronoun of matter in grammar and Rhetoric books, and to choose the terms that fit the concept.

The research summoned the definition of the Pronoun of matter concept, discussing its properties and its uses- as reflected in grammar books. Then it addressed the difference in its naming, linking that with Al- Abdul Qahir Al-Jarjani theory of Structure that makes understanding any grammatical composition based mainly on the meaning.

Surat Al-Hajj was used as a model for monitoring the structural formation and meaning of the Pronoun of matter, in five positions. Then the role of the Pronoun of matter was analyzed and the research resulted in the formation of a special language system for the Pronoun of matter, so that it forms certain communicative cases.

Keywords: Pronoun of matter, Surat Al-Hajj, structural formation, theory of Structure, Abdul Qahir Al-Jarjani, meaning.

الضمير اصطلاحاً:

وجد في كتب النحو مصطلح "الضمير"، وبمحاذاته أيضا مصطلح "المضمر"، كما وجد أيضا مصطلح "الكناية"، وبمحاذاته مصطلح "المكني"، وكلها مصطلحات لمفهوم واحد. فالضمير – لغة– "السرّ وداخل الخاطر، أضمرت الشيء: أخفيته"(١)، ومادة "الضاد والميم والراء تدل على غيبة وتستر"(٢). أمّا الكناية – لغة– "أن تتكلم بشيء وتريد غيره، واستعمل سيبويه الكناية في علامة المضمر"(٣).

وفي الاصطلاح تعبّر المصطلحات السابقة "عن لفظ موضوع للدلالة على الغائب مثل: هو، والمتكلم مثل: أنا، والمخاطب مثل: أنت"(٤)، وهذا في حالة كونه منفصلاً عن الفعل أو الاسم، أمّا إذا كان متصلاً فهو على ضربين: "بارز ومستتر. فالبارز ما لفظ به كالكاف في "أخوك"، والمستتر ما نُوِي كالذي في "زيد ضرب"(٥)، أو "هو ما دل على مسماه بقرينة التكلم، أو الخطاب أو الغيبة"(٦)، فقالوا إن الضمير والمضمر اسمان لما وضع من الأسماء لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب"(٧). ويبدو –من هذا– أن حدّ الضمير اعتمد بيان أنواعه وأشكاله في الاستخدام اللغوي؛ لذلك يقول السيوطي: "ولكونه ألفاظاً محصورة بالعدّ استغنينا عن حده،

كما هو اللائق بكل معدود"[٨]، ثم يقول معللاً وجود المرادفات لمصطلح "ضمير": "وتسمية هذا النوع من الأسماء بالضمير أو المضمر تسمية بصْرية، في حين أن الكوفيين يطلقون عليه كناية ومكنياً"[٩]. وما لا شك فيه أن الكوفيين استخدموا مصطلح الضمير والمضمر أثناء عرضهم لقضايا لغوية كثيرة، وإن كانت تسمية الضمير والمضمر تسمية بصْرية إلا أنهم استخدموا أيضا مصطلحيّ الكناية والمكني استخداماً محدوداً بإزاء الضمير في كتبهم؛ لأن فكرة الاصطلاح لم تكن مكتملة بعد، فهم يتحدثون عن مصطلح ما، ثم يتبعون حديثهم بذكر مرادف له يبين معناه، ما أدى إلى وجود كثرة المصطلحات لمفهوم واحد.

ويبدو أن واضع معجم المصطلحات النحوية يميل إلى تسمية الضمير، فيقول: "ولقد سُميّ هذا النوع من الألفاظ بالضمير لضموره أي: هزاله وقلة حروفه، وهو أحد المعارف السبعة، بل هو أعرفها [١٠] وأولها في التعريف"[١١]، ولكننا نخالف اللبدي في رأيه؛ إذ إن الضمور والهزال ليسا سبب التسمية، وإلا لسميّ كثير من الأسماء بذلك، فقلة حروفه علاوة على دلالته على الاستتار والغيبة كانتا سبب هذه التسمية، ودليل ذلك أن الضمير في اللغة: المستور "فعيل" بمعنى "مفعول" أطلق على العقل لكونه مستوراً عن الحواس"[١٢].

إذن ضمير بمعنى مضمر، وكناية بمعنى مكني، وكلها مصطلحات لمعنى واحد، يأتي في الاستخدام اللغوي بهيئات وأشكال مختلفة، عرضها النحويون في كتبهم وناقشوها، فأطلقوا عليه المسميات، ومن هذه المسميات، قولهم بما يعرف بضمير الشأن وضمير الفصل، وهما ما سنعرض فيما يأتي من مضمون واصطلاح لكل منهما.

تعريف ضمير الشأن:

الشأن في اللغة هو "الخطب والأمر والحال، والجمع شئون، وشيئان"[١٣]، و"الشين والهمزة والنون أصل واحد يدلّ على ابتغاء وطلب، ومن ذلك قول العرب: شأنت شأنه: أي قصدت قصده"[١٤]. فالشأن – إذن – "مضمون الكلام ومقصده، الذي يريد المتكلم أن يتحدث عنه؛ لذلك نسب إليه ضمير الشأن"[١٥]. وضمير الشأن – في الاصطلاح – هو "ضمير الغائب المفرد – أو الغائبة المفردة، يكنى به عن الشأن أو القصة الذي يراد الحديث عنه، نحو: هو الله رحيم، هي الأعمال بالنيات"[١٦]،"وهذا الضمير يأتي صدر الجملة الخبرية دالاً على قصد المتكلم استعظام السامع حديثه"[١٧]، أي أن وجود الضمير يدل على وجود جملة مهمة يريد المتكلم إخبارها للسامع؛ فضمير الشأن يشدّ انتباه السامع، ويلفت نظره لما يريد المتكلم؛ بقصد تعظيم مضمون الكلام قبل النطق به [١٨].

خصائصه:

يبدو أن ضمير الشأن مختلف عن غيره من الضمائر، وله وضع خاص، يخالف فيه ما تعارف عليه النحاة من مبادئ وقوانين خاصة بالضمائر، ويمكن إجمال خصائصه بأنه:

أولاً: "يعود هذا الضمير على ما بعده، إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم عليه"[١٩].

ثانياً: "مفسره جملة، ولا يشاركه في هذا ضمير"[٢٠]، فهو الضمير الوحيد الذي يفسر بجملة، "وتلك الجملة المفسرة هي الخبر ولا تحتاج إلى رابط لأنها نفسه"[٢١]، والجملة بعده كاشفة لحقيقة المعنى المراد به؛ "لذا لها محل من الإعراب بخلاف سائر المفسرات"[٢٢]، ويشترط في جملته المفسرة أن تكون خبرية، فلا يفسر بالإنشائية ولا الطلبية، وأن يصرح بجزأيها، فلا يجوز حذف جزء منها [٢٣]، فإنه جيء به لتأكيدها"[٢٤].

ثالثاً: لا يحتاج إلى ظاهر يعود إليه بخلاف ضمير الغائب"[٢٥]؛ لأن الشأن أمر مبهم، لا يتم هذا الأمر إلا بوجوده دون عائد.

رابعاً: "لا يتبع بتابع، فلا يؤكد ولا يعطف عليه، ولا يبدل منه"[٢٦]؛ لأن المقصود منه الإبهام، والتوابع توضح متبوعها [٢٧].

خامساً: "ملازم للإفراد فلا يجوز تثنيته ولا جمعه"[٢٨].

سادساً: "لا يجوز حذف خبره، ولا يتقدم خبره عليه، ولا يخبر عنه بالذي"[٢٩]، فالجملة بعده لم يؤت بها لمجرد التفسير"[٣٠]، بل هي كسائر أخبار المبتدآت.

سابعاً: "لا يعمل فيه إلا الابتداء أو أحد نواسخه"[٣١]، وبناء على ذلك يكون منفصلاً ومتصلاً ومستتراً وبارزاً على حسب العوامل"[٣٢].

ثامناً: "لا يكون إلا لغائب"[٣٣]، دون المتكلم والمخاطب، فالمقصود بوصفه الإبهام، والإبهام لا يتلاءم مع المتكلم والمخاطب، بل ملائمه ضمير الغائب.

تاسعاً: "لا يستعمل إلا في أمر يراد به التعظيم والتفخيم"[٣٤]؛ فالغرض البلاغي من استعمال ضمير الشأن هو تعظيم الشأن بذكره مبهماً لتعظيم وقوعه في النفس، فيكون ذلك أبلغ بذكره أولاً مفسراً، فمجال هذا الضمير التعظيم"[٣٥]،"والفخامة بشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته"[٣٦]، كقوله تعالى: "فإنه نزله على قلبك"[٣٧]، وكقوله: "إنا أنزلناه في ليلة القدر"[٣٨]،"ففي ذلك شهادة له بالنباهة وأنه غني عن التفسير"[٣٩].

وبعد ذكر خصائصه يجب التنبيه على أنه برغم إجماع العلماء على اسمية ضمير الشأن، إلا أن هناك رأي ضعيف [٤٠] بحرفيته وانعدام محله من الإعراب استناداً إلى قولنا: "إنه أَمَةُ الله ذاهبة"[٤١]، بجعل الهاء كافة لـ(إن) مشبهة بـ(ما). والصواب أن الهاء ضمير الشأن، وما بعدها تفسير لها في موضع الخبر"[٤٢].

مواطن وجوده:

يأتي ضمير الشأن –بناء على ما سبق– في الاستعمال العربي مرفوع المحل ومنصوبه، فيكون مبتدأ واسماً لـــ (كان) أو إحدى أخواتها، واسماً لـــ (كاد) واسماً لـــ (إن) أو إحدى أخواتها، ومفعولاً لـــ (ظن)؛ لأن عامل ضمير الشأن لا يكون إلا الابتداء أو بعض نواسخه. "فإذا كان منصوبا برزت علامته متصلة كما في "ظننته زيد قائم"، ولا يجوز حذف هذه الهاء إلا في الشعر. وإذا كان "مرفوعا استكن في الفعل واستتر فيه، كما في: "كان زيد ذاهب"[٤٣]. "وإذا لم تدخله نواسخ المبتدأ فلا بد إن يكون مفسره جملة اسمية، وإذا دخلته جاز كونها فعلية أيضاً، كما في قوله تعالى: "فإنها لا تعمى الأبصار"[٤٤]، وتقول: "ما هو قام زيد"[٤٥]. "ويكون منفصلاً، وذلك إذا كان مبتدأ أو اسم "ما" ويكون متصلاً منصوباً بارزاً في بابيّ: إن، وظن، ومتصلاً مرفوعاً مستتراً في بابيّ: كان، وكاد"[٤٦]، ولا يجوز حذف هذا الضمير لعدم الدليل عليه"[٤٧].

الاختلاف في تسميته:

سُميّ ضمير الشأن بتسميات مختلقة الهيئة مشتركة الدلالة، نظراً لاختلاف آراء المدارس النحوية القديمة لا سيما مدرستيّ البصرة والكوفة –كما عهدنا في التراث النحوي– فتسمياته هي: ضمير القصة، وضمير الأمر، وضمير الحديث، وضمير القصد، وضمير المجهول، وضمير الحكاية، وهاء العماد [٤٨]. فهو الضمير الدالّ على الشأن الذي سيتناوله الكلام، ويسمّى الشأن قصة، وحديثاً، وحكاية، وأمراً، وقصداً، ومن الطبيعي أن يكون هذا الشأن لم يتقدمه مرجع – كما مر– يعود إليه لذلك فهو مجهول، وخُصّص ضمير الغيبة لهيئة هذا الضمير فهو هاء العماد.

ربما غاب عن أذهان النحويين القدماء أن المصطلح العلمي –لفظا كان أو تركيباً أو رمزاً– "يتفق عليه المشتغلون في حقل معين، ليدلوا به على شيء محدود، ولساعدهم في تمييز الأشياء بعضها عن بعض"[٤٩]، فإن تم هذا الاتفاق بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً [٥٠]، وإن كان الاختلاف الذي جرى –إذن– فلا غرابة أن نجد ما وجدنا من تسميات لضمير الشأن. فاختلاف النحاة في المصطلحات أمر جعل الدارس في كتب النحو القديمة يحتاج إلى التسلّح المعجمي –إن صحّت التسمية– في الألفاظ ودلالتها كي يرد المسميات العلمية إلى أبوابها. وهذا أمر ربما يضيق به الدارس فتفلت زمام الأمور منه، فلا يكاد معرفة كنه حقيقة ما يدرس.

وإذا عدنا إلى ضمير الشأن نجد أن المصطلح الشائع له –الذي صار اسماً– ضمير الشأن، بيد أن أصحاب المصطلح أنفسهم عندما يشرحونه ويفسرونه يستخدمون تسميات مرادفة تحل محلّ المصطلح الأول، وكأنها تلغي وجوده. فالزمخشري الذي يعقد له فصلا يسميه: "ضمير الشأن، يقول: "ويقدمون قبل الجملة ضميراً، يسمى ضمير الشأن والقصة، وهو المجهول عند الكوفيين"[٥١]، ويقول شارح كلامه –ابن يعيش–: "وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير، وتفسيراً

له، ويوحدون الضمير، لأنهم يريدون الأمر والحديث، لأن كل جملة أمر وحديث "..... فالهاء ضمير الشأن والحديث"(٥٢).

فهل هذا الضمير بمكانة تسمح له اتساع دلالات المصطلحات السابقة، وإن كانت إشارات إلى المفهوم نفسه؟ والجواب هنا أنه يضيق بها، ويحتاج لمن ينفضها عنه كي يبقى مصطلحاً واحداً لمفهوم واحد، وهذا ما يقبله العقل؛ لذلك فعندما أراد معجم الخليل أن يعلل تعدد المصطلحات لمفهوم ضمير الشأن نراه يكرر الجملة نفسها في كل مرة (٥٣)، عند حديثه عن سبب تسميته، وهي أنه يشير إلى الحديث أي الأمر الهام الذي جيء بعده، وما هو إلا الشأن أو القصة أو الحكاية التي سيتناولها الكلام.

ويبدو أن التسمية الأولى لهذا الضمير هي ضمير الأمر كما وردت عند سيبويه، فيقول في بيان صحة قولنا: "ما كان الطيب إلا المسك" إن التأويل هو: ما كان الأمر الطيب إلا المسك(٥٤)، وفي تأويله قولنا: "إنه ذاهبة أمَتك" قال: "فالهاء إضمار الحديث الذي ذكرت بعد الهاء، كأنه في التقدير –وإن كان لا يتكلم به– قال: "إن الأمر ذاهبة أمَتك وفاعلة فلانة، فصار هذا الكلام كلّه خبراً للأمر"(٥٥)، ورغم إشارته إلى مصطلح "الحديث" من خلال التأويل والتفسير إلا أنه أوله بقوله "الأمر"، وأحيانا يذكره دون تسمية، بل يكتفي بقوله: "إضمار الهاء"(٥٦).

جاء البصريون بعده مستندين إلى هذه التسمية، منطلقين منها في تأويلهم وشرحهم الذي لا يخلو من مصطلحات جديدة مرادفة للمصطلح الأول، فهم يقررون تسمياتهم على أنها شيء مسلم به؛ لذلك لا يعلّلون ولا يفسّرون سببها، أمّا عندما يذكرون تسمية كوفية نراهم يضطرون إلى تعليل هذه التسمية كي تكون مقبولة. فهذا ابن يعيش الذي أقرّ تسمية ضمير الشأن بضمير القصة والأمر والحديث دون تعليل يقول: "ويسميه الكوفيون الضمير المجهول لأنه لم يتقدمه ما يعود إليه"(٥٧)، بيد أنه لا يلجأ إلى تفسير حقيقة مقتنعاً بها عندما قال: "وربما أنثوا ذلك الضمير على إرادة القصة مع المؤنث، وإضمارها مع المذكر جائز في القياس؛ لأن التذكير على إضمار المذكر، وهو الأمر والحديث، فجائز إضمار القصة والتأنيث لذلك"(٥٨).

وبما أن المفسر لهذا الضمير غير مذكور ولا معلوم بالسياق فهو –إذن– يسمى بالضمير المجهول عند الكوفيين، أمّا البصريون فتسمياتهم تكون تبعاً لتأويل الضمير، وهم يجيزون تذكير ضمير الشأن وتأنيثه مع المذكر والمؤنث، إلا أنّهم يستحسنون التذكير مع المذكر والتأنيث مع المؤنث (٥٩). يقول ابن هشام: "وإن صدرت الجملة المفسرة لهذا الضمير بمؤنث أو بفعل ذي علامة تأنيث، أو بمذكر شبه به مؤنث رجح تأنيثه باعتبار القصة، على تذكيره باعتبار الشأن"(٦٠). على الرغم من أن الأنباري (٦١) لم يلجأ إلى هذا التقسيم، فسمى هذا الضمير: "ضمير الشأن والقصة" تارة، "وضمير الشأن" تارة أخرى، وعند تقديره لوجود هذا الضمير يقول: أي الحال والشأن ثم يكمل التقدير. والفراء

يرفض منهم أيضا هذا التأويل، وهذه التسميات، فيقول: "العرب تدخل (الهاء) مع (أن) دلالة على الفعل بعدها... فإذا كان بعدها فعل مذكر لم يجز إلا التذكير، وإن كان فعل مؤنث جاز التذكير والتأنيث نحو: "إنه قامت هند" و"إنها قامت هند"، وإذا كان بعدها فعل مذكر لم يجز فيه التأنيث نحو: "إنه قام الهندات"، ولا يجوز (إنها) [٦٢].

إن مذهب الفراء وجوب التذكير مع المذكر، وجوازه مع المؤنث، وهذا المذهب يخالف مذهب البصريين –كما اتضح– ويؤكد مذهبه في تأويله للآية الكريمة: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا"[٦٣]، فيقول: "تكون (هي) عماداً يصلح في موضعها (هو) فتكون كقوله: "إنه أنا العزيز الحكيم"، فجاء التأنيث لأن الأبصار مؤنثة والتذكير للعماد [٦٤].

أما ابن جني فيقول في الآية نفسها: "فقدّم (إذا) وهي منصوبة بـــ (شاخصة)، وإنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل فكأنّه على هذا قال: فإذا هي شاخصة هي أبصار الذين كفروا، و(هي) ضمير القصة"[٦٥]. ويقول بعد عرضه لبيت شعري يحمل تأويله وجود ضمير الشأن بعد كان: "ففي كان على هذا ضمير الشأن والحديث... وهذا الضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده، ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير، ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول"[٦٦].

من ذلك نرى أن البصريين يسمون هذا الضمير بضمير الشأن والحديث والأمر إن كان مذكراً، وبضمير القصة إن كان مؤنثاً، والفراء الكوفي يسميه عماداً في الحالتين لكنه يجيز تذكيره مع المؤنث –على خلافهم– ويسميه الكوفيون الضمير المجهول. وما نتيجة ذلك إلا فوضى مصطلحية قد توقع أي باحث في حيرة من أمره، ما جعل صاحبة كتاب "ضمير الشأن" تقرر اعتماداً على تسمية الفراء ضمير الشأن بالعماد – أن تأويل الضمير في قوله تعالى: "وهو محرم عليكم إخراجهم"[٦٧] يحتمل وجود ضمير الشأن [٦٨]، بيد أن محقق معاني الفراء يثبت أن هذا الضمير ضمير الفصل لا الشأن، فالفراء يسمي ضمير الفصل عماداً موافقاً بذلك الكوفيين[٦٩]، ويسمي هذا الضمير أيضاً عماداً أو هاء العماد مخالفاً بذلك الكوفيين، فكثرة المصطلحات أضاعت المفهوم أثناء غياب الاصطلاح الموحد.

يبدو –مما سبق– إذن أن "إطلاق غير مصطلح على مفهوم واحد يوحي بأن المصطلحات النحوية لم تنضج أو تستقر بعد، بل كانت لا تزال في مرحلة البداية والوضع والمراجعة"[٧٠]، وإلا لما وجد لمفهوم واحد سبع تسميات كلها تدور حول المعنى ذاته؛ فالشأن هو حديث وأمر وحكاية وقصة وقصد يعمد المتكلم إلى إخبار السامع به على غير معرفة مسبقة؛ فهو شأن مجهول. وأعتقد أن ما يميز هذا الضمير هو الهالة التي تحيط بالخبر الذي يتصل به، ومدى اهتمام السامع وانتظاره لما يأتي بعده؛ فلا يأتي بالأحداث المألوفة المعتادة للسامع، بل بأحداث جديدة غير مطروقة، تزيد من درجة المعرفة عند السامع وتثير اهتمامه؛ فالمصطلح

الأنسب لهذا المفهوم وهذا الاستخدام هو مصطلح الكوفيين "الضمير المجهول"، وبه نخرج من متاهة اصطلاحية، فلا تقدير خاص بالمذكر وآخر بالمؤنث، وخروج على القاعدة، ولا آراء فردية تعكر صفو الاصطلاح.

ضمير الشأن في سورة الحج:

حظي باب ضمير الشأن بقدر بسيط من عناية البلاغيين إذ قصروا اهتمامهم به في جانب دراستهم لأحوال المسند إليه، ومن ذلك إشارة القزويني في معرض حديثه عن تأخير المسند إليه إلى أنّ "السّامع متى لم يفهم من الضّمير معنى بقي منتظرا لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكّن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكّن"(٧١).

وقد تفطّن الدكتور محمد عبد الله جبر (كلية الآداب، جامعة القاهرة) في كتابه "الضمائر في اللغة العربية" إلى أنه على كثرة ما تضمّنه القرآن الكريم والشعر العربي القديم من استعمال لضمير الشأن، فإنه يلاحظ في لغتنا الحديثة اقتصار استعماله على تعبيرات قليلة في أشكال خاصّة من مجالات استخدام اللغة، ومع حرف واحد هو (إنّ)، ويكاد ينحصر استعماله في صيغ المحرّرات الرسمية، فنجد بدايتها: إنّه في يوم كذا وقع كذا وكذا (٧٢).

بناء عليه عرض البحث لثلاثة أمثلة موجودة في سورة الحج بالتفسير وفقا لنظرية النظم عند الجرجاني، التي تقوم على توخي معاني النحو والبلاغة، فأشار إلى الترابط بين المفردات، وبيّن ضرورة اتّحاد أجزاء الكلام، ودخول بعضها في بعض، واشتداد ارتباط الثاني منها بالأوّل. "واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"(٧٣).

فضمير الشأنّ يمثّل تركيبا ثابتا يحمل القيمة الدلالية نفسها أينما وضع، وهو تعظيم الأمر وتهويله على المتلقي، فالتركيب النحوي الذي تتغير دلالته وفقا للسياق الذي يرد فيه يحافظ على معنى ثابت لضمير الشأن، لكن الفائدة المتوخاة منه لا تأتي من تركيب نحوي واحد، وإنما من نظم الجمل كاملا، فبضمّ كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة يتأدّى المعنى (٧٤) لذلك عرض الباحثان لجملة ضمير الشأن من خلال ربطها مع التركيبين السابق واللاحق لها.

النظم إذن، يعتمد على ثلاثة أمور:

١- المعنى الذي يريده مرسل الخطاب، وهو الذي نختار له تراكيب تدلّ عليه.
٢- التركيب اللغوي الذي يحمل المعنى ليصل إلى متلقي الخطاب.
٣- الموقع الذي يحتله التركيب اللغوي من السياق، وما يتصل بهذا الأمر من تقديم وتأخير وحذف وزيادة تتضافر جميعها لبيان المعنى واضحا جليا، وفي ذلك يقول الجرجاني: "فلا يتصوّر أن تعرف اللفظ موقعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنّك تتوخّى الترتيب في

المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها"(٧٥).

وبناء عليه، اعتمد الباحثان على ثلاثية الجرجاني ونظرية الخطاب في الاتساق والانسجام لهاليدي ورقية حسن في التحليل للمواطن التي احتوت على ضمير الشأن، من سورة الحج، وعرضا لموطن يشتبه بضمير الشأن، لكنه ليس منه.

الموطن الأول: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ"(٧٦).

يتضح من الآية أن الجمل مقسّمة فيها وفقا لما يأتي:

١- جملة ضمير الشأن: "يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ"

فقوله تَعَالَى: "**يَوْم تَرَوْنَهَا**" مِنْ بَاب ضَمِير الشَّأْن، المقصود بالضمير الهاء هو يوم القيامة الذي يذهل الناس ويشغلهم عن أحب الناس إليهم، ولا أحب من الرضيع لأمه، "**تَذْهَل كُلّ مُرْضِعَة عَمَّا أَرْضَعَتْ**" أَيْ فَتَشْتَغِل لِهَوْلِ مَا تَرَى عَنْ أَحَبّ النَّاس إِلَيْهَا وَاَلَّتِي هِيَ أَشْفَق النَّاس عَلَيْهِ تُدْهَش عَنْهُ فِي حَال إِرْضَاعهَا لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: "**كُلّ مُرْضِعَة**"، وَلَمْ يَقُلْ "مُرْضِع" وَقَالَ: "**عَمَّا أَرْضَعَتْ**" أَيْ عَنْ رَضِيعهَا فِطَامه (٧٧).

وفي أهوال الساعة من التعظيم والمكانة الخاصة ما يجعل الخطاب القرآني يذكر الضمير دون مرجع يعود عليه، وكأنه يريد بيان أهوالها بشكل خاص من التركيب اللغوي، فعدم عودة الضمير على عائد يؤكّد وضوح العائد، واكتفاء الضمير دونه يشي بوصول العائد لذهن المتلقي دون وجوده في التركيب، فالإضمار هنا يساوي الإظهار، ولا فرق بينهما في وضوح المعنى، بل إن الإضمار أشدّ وطئا من الإظهار، لأنّه يظهر المضمر بصبغة خاصة من التفخيم والتعظيم.

٢- جملة العطف: "وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى":

تبيّن الجملتان المعطوفتان مشهدين من أحوال الناس يوم القيامة، بهدف بيان عظمة هذا اليوم. فقوله تعالى: "**وَتَضَع كُلّ ذَات حَمْل حَمْلَهَا**" أَيْ قَبْل تَمَامه لِشِدَّةِ الْهَوْل: "**وَتَرَى النَّاس سُكَارَى**" وَقُرِئَ "**سَكْرَى**" أَيْ مِنْ شِدَّة الْأَمْر الَّذِي قَدْ صَارُوا فِيهِ قَدْ دَهِشَتْ عُقُولهمْ وَغَابَتْ أَذْهَانهمْ فَمَنْ رَآهُمْ حَسِبَ أَنَّهُمْ سُكَارَى "**وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنّ عَذَاب اللّه شَدِيد**"(٧٨).

يقدّم علماء الخطاب تصوّراً دقيقاً لصور الوصل عامة، ويذكرون أن التماسك، أو الترابط النحوي له دلالة تربط كلّ جملة في الخطاب بالجمل الأخرى (٧٩)، إذ تترابط الجمل وتتناسق دلاليّاً وبأدوات لفظيّة كأدوات الربط، وأدوات العطف، وأدوات الشرط وغير ذلك. فجاء العطف هنا متمّما للصورة التي رسمت للمرضعة، ليؤكّد على هول الموقف، فنحتاج العائد الذي يعود ليوم القيامة، وتتوالى الصور الخاصة به ضمن وسيلة الاتساق العطف، فلا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها (٨٠).

تظهر علاقة الإثبات والنفي في قوله تعالى: "**وَتَرَى النَّاس سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى**"،

كما أن إطار العلاقة لا يتضح إلا باكتمال المعنى في جملة الوصل العكسي التابعة لها، فينفي التركيب الرؤية الآنية المضارعة في "ترى" القلبية، ولا تتضح هذه الرؤية دون اتصالها بما سبق من وصف، لكنّه يؤكّد في الوقت ذاته أن الأمر ليس سكرا بل حدث جلل يعود لضمير الشأن.

٣- جملة الوصل العكسي:"ولكن عذاب الله شديد":

تأتي هذه الجملة بعد وصف الناس وهم كالسكارى لكنهم ليسوا سكارى، لتدلّ على حقيقة ما أصابهم، فهم من شدة الخوف من الله وعذابه يمشون كالسكارى، فجاء الوصل بـــ (لكن) ليوضح حقيقة الأمر.

ويدلّ وجود الوصل العكسي على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، التي تتماسك بها، وتبيّن أدواته مفاصل النظام الذي يقوم عليه الخطاب [٨١]، وملاحظة دلالاتها على مستوى العلاقة بين المفردات داخل الجملة، وعلى مستوى الخطاب كاملاً، وذلك بإدراك مقولاته المجسّدة، وإشاراته الإخبارية، فهو وحدة دلاليّة تشكّل مضموناً، يضمن الفائدة التي يريد المرسل إيصالها عبر القناة، وهنا في الآية كان له تأثير قوي في بيان أهوال يوم القيامة، فالعذاب والخوف منه قد يسبّب هذه السكرة ظاهريا لكنّها خوف وألم من أمر جلل.

ويبدو الموصوفون في قمّة السلبية لوصفهم بسكارى، لكنّ هذا الوصف ينتقض بأداة الوصل العكسيّ، فتعقد مقارنة خفيّة بين الحالتين المتعاكستين، توحي بالسلبيّة التامة التي يريد الخطاب القرآني إيصالها، على عكس ما هو متوقع من بداية الوصف.

إن البؤرة التي يستند إليها المعنى في الآيات هي ضمير الشأن الدال على يوم القيامة، ومنها تبين التركيب اللغوي وموقع التركيب بين سابقه ولاحقه كما يبدو في الشكل الآتي:

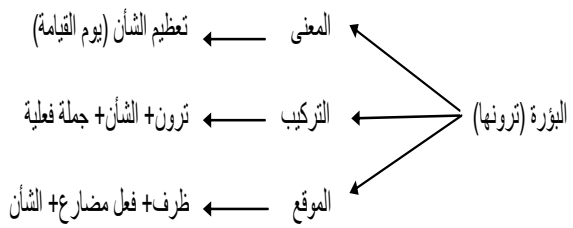

ولا بدّ من مؤكدات لإبراز المعنى الذي تريده الآية، وبدت المؤكدات في ما يأتي:

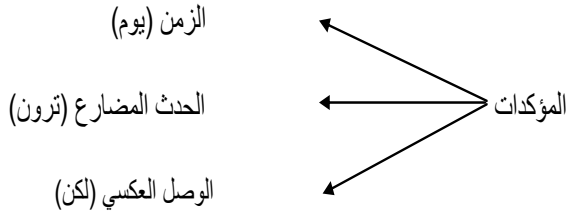

والزمن مخصّص بـــ (يوم) غير محدّد هو يوم القيامة، لكن تأكيده بأنه حاصل فيه من الترهيب في قلوب العباد، فالزمن لا يكون إلّا لشيء متحقّق أو سيتحقّق، وفي هذا اليوم تتمّ الرؤية البصرية والقلبية، فالرؤية البصرية حاصلة بالضمير الهاء، (ترونها)، أي سترون هذا اليوم، أمّا الرؤية القلبية فتدّل عليها الجملة التالية لتركيب ضمير الشأن (تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت)، لتستكمل الصورة في ذهن المتلقي، فأنتم سترون يوم القيامة، ليس هذا

حسب، بل سترونها وهي تذهل المرضعات عن أطفالهن الرضّع.

الموطن الثاني: قوله تعالى: "مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظ"(٨٢).

وتقسم هذه الآية ثلاثة أقسام هي:

١- **جملة الشرط**، وتحتوي على جملة الشأن: **"مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ"**.

في الآية ضمير الشأن محذوف بعد أنّ، (أنّه)، والمقصود به نصر الله لنبيه محمد –عليه أفضل الصلاة والتسليم– "مَنْ كَانَ يَظُنّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللّهُ مُحَمّدًا –صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَعَلَى آله وَسَلّمَ– فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَة فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ أَيْ بِحَبْلٍ إِلَى السّمَاء أَيْ لِيَتَوَصّل إِلَى بُلُوغ السّمَاء فَإِنّ النّصْر إِنّمَا يَأْتِي مُحَمّدًا مِنْ السّمَاء، ثُمّ لْيَقْطَعْ ذَلِكَ عَنْهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ"، فنصر الله لنبيه الحبيب من يخرج من دائرة الجدل، "فَمَنْ كَانَ يَظُنّ أَنّ اللّه لَيْسَ بِنَاصِرٍ مُحَمّدًا وَكِتَابه وَدِينه فَلْيَذْهَبْ فَلْيَقْتُلْ نَفْسه، فَإِنّ اللّه نَاصِره لَا مَحَالَة(٨٣)، وهذا أمر لا ظنّ فيه لأنّه حقيقة إلهية لا تحتمل الجدل.

جاء الحدث في سياق جملة الشرط، فحقّقت اللغة العربية غايات جمالية بلاغية في الصياغة اللغوية بالإضافة إلى المعنى، فلم تغفل عن المقصد الذي سار جنبا إلى جنب مع التركيب الشكليّ؛ فجاء التعالق الشرطي وسيلة اتساقية في النص، ليبيّن نتيجة سوء الظن لأمر ذي شأن عظيم، فأوحى الوصف بانتقال من السالب إلى الموجب ظاهريا، وذلك ما لا يتوقعه المتلقي، فكيف ينظر في السماء من ظنّ سوءا بنصر الله؟

فلم يصل المتلقي إلى مبتغى الآية إلّا بتتمتها مع الاستفهام التعجبي الذي يليها، وهنا ينتقل إلى درجة عالية من السلبيّة في وصف المنكرين، لذلك يجد في الاستفهام التالي له مخرجاً، ويدخله في إيجابيّة ليست حقيقية، فتتكشف الرؤى لديه؛ فيوازن طرفي معادلة الوصف.

٢- **جملة العطف: "ثمّ ليقطع"**: تحدّثت جملة الشرط عن سوء الظن بنصر الله لرسوله الكريم، وجاء العطف ليؤكّد أنّه من سلك هذا الظن فإنه آثم، وجواب الشرط يصف حالته حين يطلب منه الله أن ينظر إلى السماء ويقطع النصر إن كان يقدر، فالنصر من عند الله لا سواه، والظانّ غير قادر على قطعه، بل سيحيا بسوء ظنّه وغيظه.

برز التركيب اللغوي مكتملا في أداة عطف وجملة فعلية فاعلها كافيا لما تريد الآية إيصاله على الرغم من إيجازه، فيبرز جمال المعنى المقصود حين يُوجد مكتملاً ناضجاً موحياً، ليحقّق كمال الفائدة، وكمال الفائدة في أن يظلّ قادراً على الإفادة مؤدّياً إلى معان تتّضح بوجوده، وتنبعث من إيحائه، ثم تترابط هذه المعاني الجزئيّة، لتصوّر المعنى الكليّ أو الفكرة المقصودة(٨٤).

٣- جمل الاستفهام التعجبي: "هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ":

نقل الخطاب اللغوي المتلقي إلى خلاصة الجملة السابقة من زوايا عدة غير مباشرة، فبدا مزدوجاً مركباً، ولا بُدّ من الإشارة إلى أهميّة هذا الازدواج في إيصال الوصف، حيث يُعدّ منتجاً للخطاب، وناتجاً عنه في آن واحد، فيتمثل وجود الموصوف هنا فيه، وتنعكس صورته الموجبة أمام مرأى الوصف السلبيّ، فيصل المتلقي إلى الصورة مكتملة للمُنكِر الذي ينظر في السماء ويقطع النصر لكنه يبوء بالفشل، فتحاول الآية تدريج الوصف للمتلقي، جملة جملة، ليكتشف وحده عدم جدوى وجود منكر لمسألة لا شك فيها.

حدث نصر الله لنبيه هو البؤرة في التركيب اللغوي كما يبدو في الشكل الآتي:

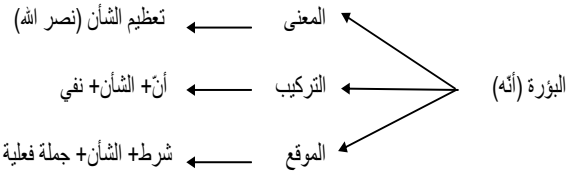

أمّا المؤكدات في جملة الشأن فهي، التوكيد بأنّ، ثم النفي للنصر بـــ (لن) المستقبلية على سبيل التهكّم، لتفيد تأكد الحدث المعاكس للنفي أي توكيد النصر:

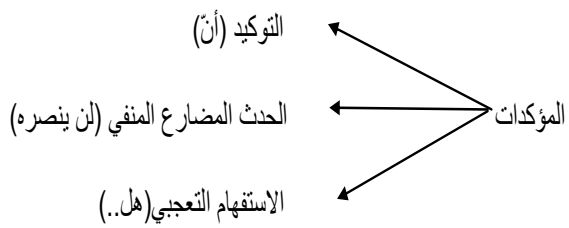

إنّ ترتيب الجمل في الخطاب لا يخلو من أمرين اثنين تبعاً لحتمية الخطية في الكلام، فهي إمّا واردة في البداية أو لاحقة عليها؛ ولذلك تحتاج في بعض الأحيان إلى ربط خطيّ يتعيّن به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى [٨٥]، حيث تربط أداة التوكيد ضمير الشأن بما حوله، ويأتي نفي النصر لربطه بحدو ث النصر، وبالاستفهام التعجبي يزداد الحدث ثبوتا، إذ الجواب المتروك للمتلقي يكشف جهل الحقائق التي لا يعلم بها إلّا الله، ويؤكّد حقيقة نصر الله لنبيه.

يُنجز الخطاب عند التلفّظ به، ويتّخذ حيّزاً يكون به كائناً مستقلاً بنفسه، وتترابط جمله، لتشكّل وحدات مركبة، فلا يدركه الفكر إلا منظّماً مرتّباً، وهذا الترتيب تفرضه خطيّة الخطاب، إذ ترد جمله في تتابع ضروريّ [٨٦]، ويبدو ذلك في الآية ابتداء من التركيب اللغوي الذي يحتوي على ضمير الشأن، إلى ما يحيط به من تراكيب.

وتتسلسل الجمل القصيرة المرتبة المنتظمة بأداة لتدعّم المعنى المراد، وتفصل بين وصفين متناقضين أحدهما مذكور والآخر يستنتجه المتلقي حين يقارن بين من يكذّب ومن يصدّق، فيكون الوصف موجبا خفيا وسالبا ظاهرا.

الموطن الثالث: قال تعالى: "**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**" [٨٧].

في الآية ضمير الشأن المتصل (إنها)، والمقصود بالضمير "الهاء" هو يوم القيامة، فتصف حال الأمم الذين لم يتعظوا، فتقول ما داموا قد ساروا وترحّلوا في البلاد، فكيف لا يعقلون آيات الله؟ وكيف لا تُحرّك قلوبهم؟

نستطيع تقسيم الآية إلى ما يأتي:

١- الجملة الاستفهامية الاستنكارية: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا".

إن مصارع الغابرين حيالهم شاخصة موحية، تتحدث بالعبر، وتنطق بالعظات..أفلم يسيروا في الأرض فيروها فتوحي لهم بالعبرة؟ وتنطق لهم بلسانها البليغ؟ وتحدثهم بما تنطوي عليه من عبر؟ فتكون لهم قلوب يعقلون بها، فتدرك ما وراء هذه الآثار الدوارس من سنة لا تتخلف ولا تتبدل، أو آذان يسمعون بها فتسمع أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة والآبار المعطلة والقصور الموحشة؟ (٨٨).

وتدلّ الجملة إذن على الاعتبار، فللإنسان وسائل إدراك هي الحواس التي يدرك بوساطتها الأمور التي تجري حوله، والعقل هو الحاكم في نهاية المطاف، فيتدخّل ليغربل هذه المدركات، ويختار من البدائل ما يناسبه، وبعد أن يختار العقل ويوازن بين البدائل يحكم بقضية تستقر في الذِّهْن ويقتنع بها، ولا تحتاج لإدراك بعد ذلك.

يستقر المبدأ في القلب، ليكون دستور حياة، حينها تستقرّ العقيدة، والعقيدة لغة ما انعقد في القلب واستقرّ فيه (٨٩)، وانطلاقا من القلب تمتد العقيدة إلى جميع الأعضاء الأخرى، لذا هم لم يتعظوا من قصص الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط وشُعَيب، وأَوطانهم ومساكنهم، "فيَتفكَّروا فِيها ويعتبِروا بِها ويعلموا بتدبُّرِهم أَمرها وأمر أَهلها سُنَّة اللَّه فيمن كفر وعَبَدَ غيره وكذّب رسله، فَيُنِيبُوا مِنْ عُتُوّهُمْ وَكُفْرهمْ، وَيَكُون لَهُمْ إِذَا تَدَبَّرُوا ذَلِكَ وَاعْتَبَرُوا بِهِ وَأَنَابُوا إِلَى الْحَقّ."(٩٠).

ويدل قوله تعالى: "**يَعْقِلُونَ بِهَآ**" على أن للعقل مهام أخرى غير الاختيار والمفاضلة بين البدائل، فالعقل من مهامه أنْ يعقل صاحبه عن الخطأ، والعقل –لغة– من عِقَال الناقة الذي يمنعها، ويحجزها أنْ تشرُدَ منك (٩١) وقوله: "**قُلُوب يَعْقِلُونَ بِهَا**" حُجَج اللَّه عَلَى خَلْقه وَقُدْرَته، وقوله: "**أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**"، آذَان تُصْغِي لِسَمَاعِ الْحَقّ فَتَعِي ذَلِكَ وَتُمَيِّز بَيْنه وَبَيْن الْبَاطِل"(٩٢).

والعطف الذي يلي "أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا"، فكأن الحاسّة غير موجودة، إنه سماع كعدمه، بل إن عدمه أفضل منه؛ لأنه سماع يقيم عليهم الحجة، فهم لم ينتفعوا ممّا سمعوا. استُخدم مصطلح "الأدوات المنطقية" للدلالة على أدوات الربط في العربية، إذ إنها علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي تقوم عليه الخطاب(٩٣).

٢- جملة ضمير الشأن: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ":

إنّ عمى الأبصار أمر هيّن مقارنة بعمى القلوب؛ لأن الإنسان إذا فقد الرؤية البصرية

يبقى له سمعه وقلبه الذي يهتدي إلى الطريق الحق ولو كان أعمى البصر، فالبصيرة تعينه، أمّا إن كان عمى البصيرة فهنا الفاجعة الكبرى، فإذا كان لعمى الأبصار بديل وعِوَض، فما البديل إذا عَمي القلب؟ "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى أَبْصَارهمْ أَنْ يُبْصِرُوا بِهَا الْأَشْخَاص وَيَرَوْهَا، بَلْ يُبْصِرُونَ ذَلِكَ بِأَبْصَارِهِمْ، وَلَكِنْ تَعْمَى قُلُوبهمْ الَّتِي فِي صُدُورهمْ عَنْ أَنْصَار الْحَقّ وَمَعْرِفَته. وَالْهَاء فِي قَوْله: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى هَاء عِمَاد، كَقَوْلِ الْقَائِل: إِنَّهُ عَبْد اللَّه قَائِم. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَة عَبْد اللَّه: "**فَإِنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَار**". وَقِيلَ :وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوب الَّتِي فِي الصُّدُور وَالْقُلُوب لَا تَكُون إِلَّا فِي الصُّدُور تَوْكِيدًا لِلْكَلَام، ويمعن في تحديد مواضع القلوب: زيادة في التوكيد، وزيادة في إثبات العمى لتلك القلوب على وجه التحديد! ولو كانت هذه القلوب مبصرة لجاشت بالذكرى، وجاشت بالعبرة، وجنحت إلى الإيمان خشية العاقبة الماثلة في مصارع الغابرين، وهي حولهم كثير .ولكنهم بدلا من التأمل في تلك المصارع، والجنوح إلى الإيمان، والتقوى من العذاب"(٩٤).

٣- جملة الوصل العكسي: "وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الّتِي فِي الصُّدُور":

إن القلوب لا تكون إلا في الصدور، لكن التركيب اللغوي جاء بزيادة في المبنى "في الصدور" على الرغم من كونها معروفة من قوله تعالى "القلوب"، ليؤكّد على أن المراد القلب الحقيقي، حتى لا نظن أنه القلب التفكيريّ التعقليّ، فأراد التوكيد على التفكّر القلبي "**وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الّتِي فِي الصُّدُور**"، أي عن درك الحق والاعتبار. فهي لا تعمي أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم، ولكن تعمي قلوبهم التي في صدورهم عن إنصار الحقّ ومعرفته (٩٥).

أمّا الاستدراك فيهدف إلى بيان مفارقة بين عمى القلوب وعمى الأبصار، فيضعهما في كفتي ميزان ترجح أحدهما لأنها الأشد "عمى القلوب"، وتؤكّد الآيات على أنّ عمى الأبصار ليس عمى مؤذيا لصاحبه كعمى القلوب الذي يدمّر صاحبه ويبعده عن الصواب.

وتتركز البؤرة في ضمير الشأن المشير إلى يوم القيامة، وبداية الجملة باستفهام استنكاري يبيّن تقصيرهم في حق أنفسهم حين لم يتعظوا من قصص الأمم السابقة، ويراد بهذا الاستفهام التمهيد للحديث عن أهوال يوم القيامة ووصفها:

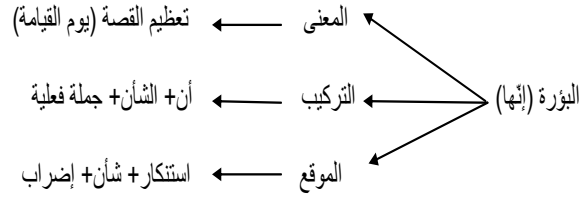

والمؤكدات في الآية هي الاستفهام الاستنكاري الذي يؤكد ضلالتهم؛ لأنهم لم يتفكروا في قصص الأمم السابقة ولم يتعظوا، والتوكيد بـــ (إنّ)، والوصل العكسي المتحصّل من النفي مع الاستدراك (لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب):

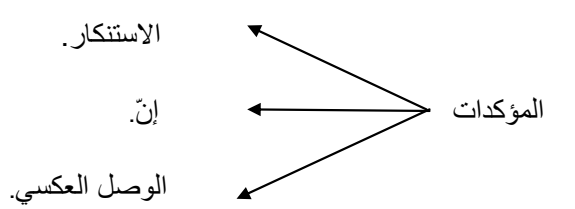

إنّ الاستفهام الاستنكاري في البناء الخارجي للخطاب يعطي المتلقي تصوّراً عامّاً عمّا يريد المتكلم إثباته، وفي الآية الكريمة يبدو تعجّب الله من المشركين لأنّهم لم يتفكروا في الأمم السابقة، ليؤكّد موقف الثبات بما توحي به الآيات، فتقوم علاقة المقارنة الخفيّة بين من يتفكّر ويتعظ ومن لا يتفكّر ويتعظ، علاوة على التأكيد على الحقيقة التي لم يتفكروا بها، فالاستفهام أكّدها مستنكرا أنّهم يشكّكون بها، فتعمد الآية إلى تنشيط مساحة المقارنة بين الحالين في ذهن المتلقي، ليصل بذلك إلى أثر تأكيدي يتشكّل في رسم صورتين، صورة خفيّة للمؤمن الذي يتفكّر، وصورة ظاهرة للكافر الذي لا يتفكّر بلونين متغايرين.

ويبدو التوكيد بـــ (إنّ) هو الفيصل في التوكيدات كلّها، وقد سبق الحديث عنها، أمّا الوصل العكسي فهو من مظاهر الاتّساق في الخطاب، فهو يُحدّد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظّم. ومعنى هذا أن الخطاب جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، مترابطة تركيبياً ودلالياً، ولكي تدرك وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوّعة تصل بين أجزائه، ومن ذلك الوصل العكسي، الذي يعني على عكس ما هو متوقع[٩٦].

الوصل إذن وسيلة من وسائل إبراز الجمال، يربط معنيين متّخذاً الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى، فيعرضه جليّاً؛ ليكون خالصاً بذاته أمام المخاطب، فيتدبّره حقّ التدبّر، أو يتّخذ الإيجاز وسيلة في عرضه، كي لا يتشتّت الذهن في استيعاب المعنى [٩٧]، ويربط الوصل معنى بمعنى لغرض بلاغيّ، أو هدف يسعى الخطاب لإيصاله، فيعرض الخطاب في حالة الوصل العكسي حالتين للموصوف بأداة تقسم الموضوع جزأين، وتصوّر الهيئة المقصودة، فيتّضح المعنى ويثبت، بعدما توقّع المتلقي عكسه.

إن أسلوب الوصل العكسي يعتمد آلية الصورة التجسيديّة للموصوف، سواء أكان ذلك لبيان جماله أم قبحه، فيؤثّر فكريّاً وعاطفيّاً في نفس المتلقي الذي لم يتوقّع ما بعد أداة الوصل العكسي، فعرضت له رؤى مخالفة لما قبل الأداة، وبذلك تجسّدت الصورة الجماليّة للوصف في خطاب فكريّ مؤسّس على رؤى الرحالة وقناعاته.

يُعدّ الوصل العكسي قالباً تلجأ إليه الآية، ليعلّق وحدتين إخباريتين، هما (تعمى الأبصار) و(تعمى القلوب التي في الصدور)، وفق مبدأ العلاقة العكسيّة التي تحكم الموصوف، فلا تُؤخذ وحدة إخبارية بمعزل عن الأخرى، بل تثبت العلاقة وتتّضح بين نوعيّ العمى اللذين تصفهما الآية، فبربط التركيب اللغوي بوساطة أداة الاستدراك (لكن) الوحدتين متعاكستين بأدواته، فيتشكّل الخطاب بتأكيده على ضلال الكافرين الذين يكذبون بيوم البعث.

ما يُظن أنه ضمير شأن:

قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ"[٩٨].

أشار المفسرون إلى أن قوله تعالى: " **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ**" إلى آخرها، صفة ثانية لـــ "شيطان مريد"، فالضمير المجرور عائد إلى (شيطان). وكذلك الضمائر في (**أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ**) [٩٩]. وأما الضميران البارزان في قوله: (**يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ**) فعائدان إلى (من) الموصولة. أي يضل الشيطان متوليه عن الحق ويهدي متوليه إلى عذاب السعير [١٠٠].

ويشير ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية إلى أن القراءات العشر "اتفقت على قراءة (كُتِبَ) بضم الكاف على أنه مبني للنائب. واتفقت أيضا على فتح الهمزتين من قوله تعالى أنه من تولاه فأنه يضله"[١٠١].

ولذلك وجب التنبه إلى أن الضمير في (أنه) عائد إلى (شيطان) في الآية السابقة وليس ضمير شأن كما ظن بعض المعربين لكتاب الله [١٠٢]؛ "لأنّ جعلَه ضميرَ شأن لا يناسب كون الجملة في موقع نائب فاعل (كتب). إذ هي حينئذ في تأويل مصدر وضمير الشأن يتطلب بعده جملة، والمصدران المنسبكان من قوله "أنه من تولاه" وقوله "فأنه يضله" نائب فعل (كتب) ومفرع عليه بفاء الجزاء. أي كتب عليه إضلال من تولاه"[١٠٣].

ويضيف ابن عاشور في توضيحه لطبيعة هذا الضمير، إذ يقول بأن (من) في الآية "موصولة وليست شرطية؛ لأن المعنى على الإخبار الثابت لا على التعليق بالشرط. وهي مبتدأ ثان. والضمير المستتر في قوله (تولّاه) عائد إلى (من) الموصولة. والضمير المنصوب البارز عائد إلى (شيطان). أي أن الذي يتخذ الشيطان وليا فذلك الشيطان يضلّه"[١٠٤].

- الصور التركيبيّة لمجيء ضمير الشأن في سورة الحج:

المباني في وعاء المعنى، هي الشكل اللغوي المعبّر عنه، فلا فصل بين المبنى والمعنى، لكن قد يتغير المبنى للمعنى الواحد، وهذا من جماليات اللغة وسعتها، "فاللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس"[١٠٥].

الصورة التركيبية الأولى:

ظرف زمان+ جملة فعلية+ ضمير الشأن+ جملة فعلية مفسّرة مثبتة

يوم+ ترون+ ها+ تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت

والملاحظة الأولى التي يمكن إبداؤها حول هذه الصورة التركيبيّة أنّها لا تمثل الصورة القياسيّة لمجيء ضمير الشأن عند النحاة، فالصورة القياسيّة عندهم تقتضي مجيء الحرف الناسخ (إنّ) أو باب ظنّ في حالة كون ضمير الشأن متصلا منصوبا بارزا، لكن الصورة التركيبيّة محلّ البحث هنا لا توافق القياس، وفي الوقت نفسه لا لبس فيها قطّ أنّها ضمير الشأن لعدم وجود ظاهر يعود عليه الضمير، ولمعنى التعظيم في وصف يوم القيامة، ولأن ما تلا الضمير الهاء جملة مفسّرة له "**تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت**" مصرّح بجزأيها:

البنية النواة: يوم ترون الساعة تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت.

بنية العدول: يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت.

فالضمير الهاء هنا دون ظاهر يسبق يعود عليه، والإضمار دون الذكر أشدّ وطئا في النفس، لأن الموصوف غني عن الذكر من جهة، ولأن الجملة التابعة المفسّرة له واضحة الدلالة من جهة أخرى، فالحذف للظاهر هنا مقبول ومستحبّ وقد يكون ضعيفا مستكرها في موضع آخر.

إنّ السياق العام هو الإطار الذي يحتّم قبول الإضمار دون ظاهر أو لا، "فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقّت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال ولكانت إمّا أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا، ولم ترَ قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبّر وكيف يورد ويصدر"(١٠٦).

يحمل الوصف في ذاته قيمة، إذ إنّ إسناد صفة لموصوف ما يُعدّ إرسال حكم بشأنه، وإكسابه وصفاً، وإبداء موقف منه، وطريقة مخصوصة في رؤيته، وقد تكون هذه القيمة عامة مجرّدة، وقد تكون ذاتيّة بنسب متفاوتة، وعلى وجوه مختلفة (١٠٧). تأتي الجملة المفسّرة لضمير الشأن هنا بمثابة الوصف له، وترسل أحكاما على الموصوف، "**تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ... وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ**"، فالحكم على الشيء فرع لتصوّره، ويكون هذا الحكم ضمن مرجعيّة تعتمد حقائق وجوديّة، وبعض الضوابط المطروحة، فيصطبغ بصبغة وجود تعبّر عن مرسلها في الدرجة الأولى، فكأنّه يجلّي الموصوف ويكشفه بعد الإضمار، فيناسب الإبداع الوصفيّ ما وهبه إيّاه المولى من قوّة الحدث، ومهابة الموقف.

الصورة التركيبيّة الثانية:

أسلوب شرط+ أنّ+ ضمير متصل+ جملة فعلية مفسّرة منفية.

من كان يظن+ أنّ+ الضمير الهاء+ لن ينصره الله+ فلينظر في السماء.

تمتاز هذه الصورة بوجود أسلوب شرط في مقدمتها، جملة خبرية تقريرية خالصة، ويتضمن أسلوب الشرط بعد فعله ضمير الشأن، فتكشف الآية عن موقف متخاذل واقعي لمن يظنّ عدم نصر الله، فحين يغلب الشك على اليقين تصدمه الآية بجواب الشرط، فيطالبه جواب الشرط بالنظر في السماء، وإيقاف النصر إن استطاع!

بنية النواة: من كان يظن أن الأمر لن ينصر الله نبيه فلينظر في السماء...

بنية العدول: من كان يظنّ أنه لن ينصره الله فلينظر في السماء...

الإضمار هنا دون ظاهر يعود عليه ضمير الشأن من باب تعظيم الأمر وتهويله، وتأكيد حدوثه، فالتوكيد ليس شيئا واحدا وأبنية لغوية محفوظة، بل هو وعاء كبير يشتمل على معانٍ كثيرة وأغراض مختلفة، ولكل صيغة

معناها وقوة دلالتها، ومن ثم نستطيع القول إنّ لكل واحدة منها أحكامها الخاصة.

تكفّل أسلوب الشرط بجانب دلاليّ خفيّ، إذ دلّ على استيعاب بنية توكيد حدوث النصر، بأسلوب يدمج فيه المكونات اللغوية والحقائق الإلهية من جهة، وعلاقة الذي يظن ظنّ السوء في عدم نصر الله لنبيه الكريم بتحقّق النصر من جهة أخرى، فتُبنى الأفعال التواصلية في اللغة بناء قائماً على التمثيلات الذهنية التي تتولّد بشكل تقريبيّ، ومتفاوت في آن عن أحداث العالم وأوضاعه (١٠٨)، ويقوم التواصل في التفاعل الفكريّ واللغويّ بين وجود الذات ووجود الآخر(١٠٩).

هنا التركيب اللغوي شكّل تمثيلا ذهنيا قبل أن يشكّل تركيبا لغويا حسب للمتلقي، وأنشأ علاقة ذات صورتين، صورة الإيمان الراسخ بالعقيدة وتحقّق نصر الله، وقبول هذه الصورة بشكل مسلّم به، وصورة التكذيب بالنصر ومجادلة النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام– فيها.

الشرط هنا في سياقه الدلالي من باب التوكيد لنصر الله لنبيه، "من كان يظن .... فلينظر.."، وأفادت الإحالة الضميرية في تماسك التركيب اللغوي، فدلّت على الغائب الذي يظن عدم نصر الله في (كان) الماضية لانتفاء حدوث الظن بعد تحقّق نصر الله، و(يظنّ) المضارعة لأنه بقي مصرا على ظنه، و(فلينظر) المضارعة المسبوقة بلام الأمر، ليتحقّق من نصر الله، وفي الحالات الثلاثة كانت الإحالة للغائب، لأن الظانّ غير مهم ذكره أو توجيه الخطاب له بقدر أهمية الحدث (الظن) الناجم عنه، وقد ينجم عن غيره وغيره، فالخطاب القرآني يوجّه الحديث لمن يرتكب هذا الحدث بصرف النظر من هو.

أما الفرق بين الشرط والحرف الناسخ "إنّ" في التوكيد فهو فرق في دلالة التوكيد ومرجعيته، الشرط يؤكد وجوب الشرط، والحرف الناسخ عدمه من وجهة نظر المنكِرين، فيأتي جواب الشرط ليثبت خطأهم وظنّهم الذي ليس في محلّه.

الصورة التركيبية الثالثة:

فاء الاستئناف+ إنّ+ ضمير متصل+ جملة فعلية مفسّرة منفية

فـــ + إنّ+ ها+ لا تعمي الأبصار

تُظهِر الصياغة اللغويّة المعاني ظاهرها ومخبوءها، ويُؤثّر ذلك في الذاكرة والإدراك الحسّي لمتلقي الخطاب، وتحمل الكلمات والتعابير المستخدمة من مرسلها ملامح ذاته، فترسل ما يريد إيصاله بالدرجة الأولى، قبل إرسال ما تفرضه المواقف على المتلقي. يبدو الأمر جلياً في هذه الصورة التركيبيّة، إذ للمعاني سلطة على ذاكرة متلقي الخطاب إثر ما يجد من دلالة الموصوفات، وخاصة إذا كان هناك إضمار لأمر فيه تهويل وتعظيم، فتتشكّل القوالب اللغوية، لتقارن بين عمى القلوب وعمى الأبصار، وتعلي مكانة يوم القيامة في النفوس، وتعظّم شأنه.

إنّ الأثر الدلالي للحرف الناسخ المؤكّد (إنّ) يوجب تحولا دلاليا يمتدّ من البنية النواة إلى

بنية العدول، أي الهيئة التي تشتمل على ضمير الشأن.

البنية النواة: الساعة لا تعمى الأبصار.

بنية العدول: إنّها لا تعمى الأبصار.

والناتج المترتب على دخول (إنّ) هو تحوّل رأسي بالمعنى عمقا ودلالة وتوكيدا وتقوية وغموضا وتعظيما، ففيه مثلا تعظيم مركب لاتصاف المسند إليه بالغموض والتعظيم.

إنّ التوكيد بأشكاله المختلفة تحوّل رأسي في الجملة يقوم على تحقيق التهويل لعناصر دلالية موجودة أصلا في الجملة، ولولا السياق مكتملا لما تحقّق هذا التهويل، فتأتي المعاني في تماسك وانتظام لفظي، وتتعلّق الألفاظ ببعضها وتأتلف.

يهدف التماسك في الخطاب إلى إيصال الرسالة، وتحقيق التفاعل معها، فيظهر بين مكوناتها، على اعتبار أنّه مقوم أساسيّ من مقومات كلّ جملة فيها؛ إذ لا يمكن أن تبنى الجملة دون وجود التماسك. ويأتي الوصف في طليعة الأساليب التي تعمل على تماسك الخطاب، فتجعل الموصوف مرتبطاً بالموضوع كلّه (١١٠). وللوصف في الآية المدروسة آليّات كثيرة متّبعة كالإجمال حيناً والتفصيل حيناً آخر في إضمار الضمير ثم وصفه بجملة مفسّرة، والتكرار بإعادة لفظ "تعمى"، والإحالات الضميرية والروابط الزمانية والتركيبية كوصف القلوب بقوله تعالى: "**ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**"، وهنا إحالة ضميريه لمستتر هو الموصوف في التركيب صاحب ضمير الشأن، والوصل بالاسم الموصول الذي يؤكد حقيقة معروفة قبلا، فالقلوب من البديهي أنّها في الصدور، فهذا نوع من أنواع التكرار له دلالته الخاصة ولم يأتِ عبثا، بل مقصودا كما وضّحنا سابقا.

أمّا الوصل العكسي في "لكن" وغير ذلك، فهو من الآليات التي تجعل النص متماسكاً ومترابطاً، وتضفي عليه صبغة لغوية خاصة.

وبعد، فقد جاءت الصيغ التركيبية المذكورة للتعبير عن الأهداف الدّلاليّة الكامنة في الخطاب، إذ إنّ الوصف بها يقدّم إخباراً أو إعلاماً عن موصوف فيه غموض وتهويل وتعظيم، بيد أنّه يحمل في ثناياه معاني وأفكاراً معينة (١١١)، ويُسهم التركيب اللغوي لبنية العدول في كل بنية نواة أيضاً في تماسك الخطاب وتحقّق نصيّته، هذا التماسك قد نادى به هاليدي، ورُقيّة حسن، وبيّنا أن تحقّقه يتمّ بتعلّق عناصر الخطاب بعضها ببعض، بعلاقات أو أدوات شكليّة ودلاليّة كالإحالة، والتكرار، والحذف، والوصل، وغير ذلك (١١٢).

الخاتمة والنتائج:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- سُميّ ضمير الشأن بتسميات مختلقة الهيئة مشتركة الدلالة، نظراً لاختلاف آراء المدارس النحوية ومن هذه التسميات: ضمير القصة، وضمير الأمر، وضمير الحديث، وضمير القصد، وضمير المجهول، وضمير الحكاية، وهاء العماد.
- كثرة المصطلحات اللغوية قد تؤدّي إلى فوضى مصطلحيّة، من ذلك نرى أن

البصريين يسمون هذا الضمير بضمير الشأن والحديث والأمر إن كان مذكراً، وبضمير القصة إن كان مؤنثاً، والفراء الكوفي يسميه عماداً في الحالتين.

- يختلف ضمير الشأن عن بقية الضمائر في أنه لا يعود على متقدم، بعكس الضمائر الأخرى التي ينبغي أن تعود على متقدم، وهذه الصفة هي التي منحته قوة التأثير في الكلام.
- ضمير الشأنّ يحمل القيمة الدلالية نفسها أينما وضع، وهو تعظيم الأمر وتهويله على المتلقي، فالتركيب النحوي الذي تتغير دلالته وفقا للسياق الذي يرد فيه يحافظ على معنى ثابت لضمير الشأن، لكن الفائدة المتوخاة منه لا تأتي من تركيب نحوي واحد، وإنما من نظم الجمل كاملا.
- يحمل ضمير الشأن غايات جمالية بلاغية في الصياغة اللغوية بالإضافة إلى المعنى، فهو يحمل التشويق للقارئ، عن طريق الإيحاء للمتأخر بعده؛ فيعطي الكلام اللاحق قوة وتعظيما وتوكيدا.
- حدد البحث الصور التركيبيّة التي جاء بها ضمير الشأن وفقا لنظرية النظم للجرجاني، وقد كانت كالآتي:

أ- ظرف زمان+ جملة فعلية+ ضمير الشأن+ جملة فعلية مفسّرة مثبتة.

ب- أسلوب شرط+ أنّ+ ضمير متصل+ جملة فعلية مفسّرة منفية.

ج- فاء الاستئناف+ إنّ+ ضمير متصل+ جملة فعلية مفسّرة منفية.

الهوامش:

١. لسان العرب، ابن منظور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب، محمد العبيدي، ط٣، ١٩٩٩م، مادة (ض م ر).
٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م. (باب الضاد والميم وما يثلثهما).
٣. لسان العرب، مادة (ك ن ي).
٤. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، اللبدي، محمد سمير نجيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ١٣٤.
٥. شرح المفصل، ابن يعيش، تقديم إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ٣٣٠/٢.
٦. الحدود، الأبذي، أحمد بن محمد شهاب الدين، شرحه جلال الدين عبد الرحمن بن زين الدين محمد بن قاسم الجلالي المالكي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٦٩.
٧. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، جمال الدين، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، السعودية، جامعة أم القرى، ٢٢٥/١.
٨. همع الهوامع، السيوطي، جمال الدين عبد الرحمن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٨م، ١٩٤/١.
٩. المصدر نفسه، ١٩٤/١.

١٠. نوقشت هذه المسألة في كتاب الإنصاف للأنباري، وتم عرض الخلاف فيها بين البصريين والكوفيين، فلا يوجد اتفاق على أن الضمير أعرف المعارف حتى بين البصريين أنفسهم. انظر الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٣، ٢/ ٧٠٧.

١١. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص١٣٤.

١٢. الكليات، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط٢، ١٩٨٢م، ١٣٥/٣.

١٣. لسان العرب، مادة (ش أ ن).

١٤. معجم مقاييس اللغة العربية، (باب الشين والهمزة وما يثلثهما).

١٥. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص١٠٩.

١٦. معجم مصطلحات النحو العربي، عبد المسيح، جورج متري، وتابري، هاني جورج، تصدير محمد مهدي علام، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ٣٥٨.

١٧. همع الهوامع، ٢٣٢/١.

١٨. المصدر نفسه، ٢٣٤/١.

١٩. (١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢ م، ٥٦٤/٢.

٢٠. المصدر نفسه، ٢/ ٥٦٤.

٢١. شرح المقرب، المرفوعات، فاخر، علي محمد، القسم الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤م، ٦٦٣/١.

٢٢. الكليات، ١٣٤/٣.

٢٣. هذه مسألة خلافية بين البصرة والكوفة، وأهل الكوفة يجيزون أن يفسر بمفرد، ويجيزون حذف جزء الجملة المفسرة، انظر همع الهوامع، السيوطي، ٢٣٣/١، وشرح المفصل، ابن يعيش، ٣٣٦/٢، وشرح الرضي على كافية ابن الحاجب، الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ٢١٣/٣-٢١٤.

٢٤. همع الهوامع، ٢٣٣/١.

٢٥. الكليات، ١٣٤/٣.

٢٦. مغني اللبيب، ٥٦٥/٢.

٢٧. الكليات، ١٣٤/٣.

٢٨. انظر مغني اللبيب، ٥٦٥/٢، شرح الرضي، ٢١٢/٣.

٢٩. الكليات ،١٣٤/٣.

٣٠. شرح الرضي، ٢١٢/٣.

٣١. مغني اللبيب، ٥٦٤/٢.

٣٢. شرح الرضي ،٢١٢/٢.

٣٣. المصدر نفسه ،٢١٢/٢.

٣٤. الكليات، ١٣٤/٣.

٣٥. ضمير الشأن مسائله ومواطنه، حسين، فاطمة عبد الرحمن، جامعة القاهرة، سلسلة دراسات أدبية ولغوية يصدرها مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٣.

٣٦. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م، ٢٩/٤.

٣٧. سورة القدر، آية (١٠).

٣٨. سورة البقرة، آية (٩٧).

٣٩. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، القاهرة، ٢٣٤/١، ١٣٥.

٤٠. انظر همع الهوامع، ٢٣٢/١.

٤١. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ١٤٧/١.

٤٢. انظر شرح المفصل، ٣٣٦/٢.

٤٣. شرح المفصل، ٣٣٦/٢ وما بعدها.

٤٤. سورة الحج، آية (٤٦).

٤٥. انظر شرح الرضي، ٢١٥/٣، شرح الكافية، ٢٣٧/١.

٤٦. شرح الرضي، ٢١٦/٣.

٤٧. المصدر نفسه، ٢١٦/٣.

٤٨. معجم مصطلحات النحو العربي، ٢٥٨، وورد ضمير القصد عند معجم المصطلحات النحوية للبدي، ص١٠٩.

٤٩. مفاتيح العلوم، الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة، نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩١م، المقدمة، ص٥.

٥٠. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري، القوزي، عوض بن أحمد، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١م، ص٢٤.

٥١. شرح المفصل، ٣٣٤/٢.

٥٢. المصدر نفسه، ٣٣٤/٢.

٥٣. انظر معجم المصطلحات النحوية، ص٢٥٦ وما بعدها.

٥٤. انظر الكتاب، ٧١/١.

٥٥. الكتاب، ١٧٦/٢.

٥٦. انظر الكتاب، ١٣٧/٢، ٨٣/٣، ١٦٥.

٥٧. شرح المفصل ،٢/ ٣٣٦، انظر شرح الرضي، ٢١٤/٣.

٥٨. شرح المفصل، ٣٣٩/٢.

٥٩. شرح الرضي، ٢١٥/٣.

٦٠. شرح الكافية، ٢٣٦/١.

٦١. انظر الإنصاف في مسائل الخلاف، حاشية، ١٨٠/١ وما بعدها وحاشية ١٩٩/١ وما بعدها.

٦٢. معاني القرآن، انظر الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ٣٦١/١.

٦٣. سورة الأنبياء، آية ٩٧.

٦٤. معاني القرآن، ٢١٢/٢.

٦٥. الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، ٣٩٨/٢.
٦٦. المصدر السابق، ٣٩٧/٢.
٦٧. سورة البقرة، آية ٨٥.
٦٨. ضمير الشأن، ص٣٢.
٦٩. انظر معاني القرآن، ٣٧/٣.
٧٠. الحمد، علي، قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد، مجلة علوم اللغة، القاهرة، المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٠٦م، ص٧٠.
٧١. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع، القزويني، محمد عبد الرحمن جلال الدين، طبعة صبيح، القاهرة، بدون تاريخ، ص٥٣.
٧٢. الضمائر في اللغة العربية، جبر، محمد عبد الله جبر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٤١-١٤٢.
٧٣. دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م، ص٤٤.
٧٤. دلائل الإعجاز، ص٣٥.
٧٥. المصدر نفسه، ص٤٤.
٧٦. سورة الحج، آية ٢.
٧٧. تفسير ابن كثير، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م، المجلد الخامس، ص٣٩١ وما بعدها.
٧٨. المصدر نفسه، المجلد الخامس، ص٣٩٤.
٧٩. مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، مد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م، ٢٣، نقلاً عن Cohesion، ٢٢٧p.
٨٠. النص والخطاب والإجراء، بوجراند، روبرت، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٤٦.
٨١. انظر نسيج النص، الزناد، الأزهر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٧.
٨٢. سورة الحج، آية ١٥.
٨٣. تفسير ابن كثير، المجلد الخامس، ص٤٠٢.
٨٤. الفصل والوصل في القرآن الكريم، سلطان، منير، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٩٥.
٨٥. نسيج النص، ص٤٢ وما بعدها.
٨٦. انظر المرجع السابق، ص٤٢.
٨٧. سورة الحج آية ٤٦.
٨٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٣٢، ٢٠٠٣م، ج٤/ ص٢٤٣.
٨٩. لسان العرب، مادة عقد.
٩٠. تفسير ابن كثير، المجلد الخامس، ص٤٣٨.
٩١. معجم لسان العرب، مادة عقل.
٩٢. تفسير الطبري، المجلد السادس، ص٣٢٧.
٩٣. نسيج النص، ص٢٨.
٩٤. في ظلال القرآن، ج٤/ ص٢٤٣.

٩٥. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد، بن جرير، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، المجلد الخامس، ص٣٢٧.
٩٦. انظر لسانيات النص، ص٢٢- ٢٣.
٩٧. انظر الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص١٩٥.
٩٨. سورة الحج، آية 4.
٩٩. تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ج١٧، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ص١٩٣.
١٠٠. المصدر نفسه، ص١٩٣.
١٠١. المصدر نفسه، ص١٩٣.
١٠٢. انظر إعراب الضمير عند أحمد كلحي - موسوعة إعراب القرآن الكريم، http://ahmadkelhy.blogspot.com/٢٠١٢/١٢_post-blog/٤٩٦٣.html.
١٠٣. التحرير والتنوير، ص١٩٣.
١٠٤. المصدر نفسه، ص١٩٣.
١٠٥. دلائل الإعجاز، ص٤٥.
١٠٦. المصدر نفسه، ص٣٩-٤٠.
١٠٧. الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم، الشعر الجاهلي أنموذجا، العجيمي، محمد الناصر، مركز الناشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٣م، ص٤٣٢.
١٠٨. تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة، العاقد، أحمد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص١٥.
١٠٩. اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، إستيتية، سمير، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٥م، ص٦٩٢.
١١٠. المرجع السابق، ص١٩٨- ٢٠٠.
١١١. المرجع نفسه، ص٢٨٢-٢٨٤، إذ فرّق المؤلف بين الدلالة والإيحاء هدفاً وإجراء ونتيجة.
١١٢. لسانيات النص، ص١٦- ٢١، درس العلماء التماسك النصي (Cohesion) تحت مسميات كثيرة منها (السبك، الاتساق، الترابط) مقابلاً للانسجام (Coherence) أو الحبك أو الالتحام، وكلا المصطلحين يؤديان الهدف نفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- **الحدود**، الأبدي، أحمد بن محمد شهاب الدين، شرحه جلال الدين عبد الرحمن بن زين الدين محمد بن قاسم الجلالي المالكي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- **الخصائص**، ابن جني، أبو الفتح عثمان، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.
- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- **تفسير ابن كثير**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م.

- **تفسير التحرير والتنوير**، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ج١٧، الدار التونسية للنشـــر، تونس، ١٩٨٤م.
- **شرح الكافية الشافية**، ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، تحقيق عبد المنعم أحمـــد هريدي، جامعة أم القرى، السعودية.
- **لسان العرب**، ابن منظور، تصـــحيح أمـــين محمد عبد الوهاب، محمد العبيدي، مؤسســـة التاريخ العربي، بيروت، ط٣، **١٩٩٩م.**
- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العـــرب**، ابن هشام، جمال الدين، تحقيق محمد محـــي الدين عبـــد الحميـــد، دار الفكـــر العربـــي، القاهرة.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشـــام، جمال الدين محمد بن عبد الله، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصـــرية، بيروت، ١٩٩٢م.
- **شرح المفصل**، ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، تقديم إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- **شرح الرضي على كافيـــة ابـــن الحاجـــب**، الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتـــب، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، إستيتية، سمير، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٥م.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف**، الأنباري، أبـــو البركات، تحقيق محمد محـــي الـــدين عبـــد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٣م.
- **النص والخطاب والإجراء**، بوجراند، روبرت، ترجمة تمام حسان، عالم الكتـــب، القـــاهرة، ١٩٩٨م.
- **الضمائر في اللغة العربية**، جبر، محمد عبـــد الله جبر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، الجرجـــاني، عبد القاهر، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م.
- **ضمير الشأن مســـائله ومواطنـــه**، حســـين، فاطمة عبد الرحمن: سلسلة دراسات أدبيـــة ولغوية يصدرها مركز الدراسات الشـــرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **قراءه في مصطلح سيبويه**، الحمـــد، علـــي، تحليل ونقد، مجلة علـــوم اللغـــة، القـــاهرة، المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٠٦م.
- **مدخل إلى انسجام الخطاب**، خطابي، محمـــد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- **مفاتيح العلوم**، الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة نهى النجـــار، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- **البرهان في علوم القرآن**، الزركشـــي، بـــدر الدين، تحقيق محمد أبو الفضـــل إبـــراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيـــروت، ط٢، ١٩٧٢م.
- **نسيج النص**، الزناد، الأزهر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
- **الفصل والوصل في القرآن الكريم**، ســـلطان، منير، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

- **الكتاب**، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ م.
- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، دار الشروق، بيروت، ط٣٢، ٢٠٠٣م.
- **همع الهوامع**، السيوطي، جمال الدين، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.
- **تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة**، العاقد، أحمد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.
- **معجم مصطلحات النحو العربي**، عبد المسيح، جورج متري، وتابري، هاني جورج، تصدير محمد مهدي علام، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم**، العجيمي، محمد الناصر، الشعر الجاهلي أنموذجا، مركز الناشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٣م.
- **شرح المقرب**، المرفوعات، فاخر، علي، القسم الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤م
- **معاني القرآن**، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- **المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري**، القوزي، عوض بن أحمد، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١م.
- **الكليات**، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط٢، ١٩٨٢م.
- **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، اللبدي، محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م